۱۲۶۳۱

مجله	التضامن الاسلامی
تاریخ نشر	صفر ۱۳۹۲
شماره	هشتم سال بیست و ششم
شماره مسلسل	
محل نشر	مکهٔ مکرمه
زبان	عربی
نویسنده	الحسینی عبدالمجید هاشم
تعداد صفحات	۳۸۱ - ۳۸۴
موضوع	الامثال فی القرآن الکریم - ۱
سرفصلها	
کیفیت	
ملاحضات	

الأمثال في القرآن الكريم

بقلم
الدكتور الحسيني عبد المجيد هاشم
أستاذ الحديث والتفسير بكلية الدعوة
قسم الدراسات العليا ـ مكة المكرمة

ـ ١ ـ

يقول الميداني : ـ المثل ما يمثل به الشيء أي يشبه

ويقول ابن السكيت : ـ المثل لفظ يخالف لفظ المضروب له ويوافق معناه معنى ذلك اللفظ ، شبهوه بالمثال الذي يعمل عليه غيره ولذا شبهت الحكم القائم صدقها في القول أمثالا لانتصاب صورها في العقول مشتقة من المثول الذي هو الانتصاب (١) .

ويقول الزركشي في البرهان (٢) :ـ وضرب الأمثال في القرآن يستفاد منه أمور كثيرة :ـ الذكر والوعظ والحث والزجر والاعتبار والتقرير وتقريب المراد للعقل وتصويره في صورة المحسوس بحيث يكون نسبته للعقل كنسبة المحسوس الى الحس .

وتأتي أمثال القرآن مشتملة على بيان تفاوت الأجر والمدح والذم وعلى الثواب والعقاب وعلى تفخيم الأمر أو تحقيره وعلى تحقيق أمر وابطال أمر .

قال تعالى : (وضربنا لكم الأمثال) (٣) فامتن علينا بذلك لما تضمنت هذه من الفوائد وقال تعالى : (ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل) (٤) وقال تعالى : (وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون) (٥) .

قال الزمخشري : التمثيل انما يصار اليه لكشف المعاني وإدناء المتوهم من المشاهد . فإن كان المتمثل له عظيما كان المتمثل به مثله وان كان حقيرا كان المتمثل به كذلك . فليس المعظم والحقارة في المضروب به المثل الا بأمر استدعته حال الممثل له الا ترى أن الحق لما كان واضحا جليا تمثل له بالضياء والنور ، وان الباطل لما كان بضده تمثل له بالظلمة . وكذلك جعل بيت العنكبوت مثلا في الوهن والضعف .

والمثل في الأصل بمعنى المثل أي النظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه ويستعار للحال أو الصفة أو القصة اذا كان لها شأن وفيها غرابة .

مثل : (مثلهم كمثل الذي استوقد نارا) (٦) اي حالهم العجيب كحال الذي استوقد نارا .

ومثل : (ولله المثل الأعلى) (٧) اي الوصف الذي له شأن .

ومثل : (مثل الجنة التي وعد المتقون) (٨) اي فيما قصصنا عليك من العجائب قصة الجنة العجيبة ثم أخذ في بيان عجائبها .

ورد الزركشي على الزمخشري فقال : ظاهر كلام أهل اللغة ان المثل بفتحتين الصفة كقولهم (مثلهم كمثل الذي استوقد نارا) (٩) وكذا (مثل الجنة) (١٠) وما اقتضاه كلامه من اشتراط الغرابة مخالف أيضا

---

(١) كتاب الحكم والامثال ص ١٠ ط دار المنارة .
(٢) البرهان في علوم القرآن ١/٤٨٦ للامام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ط حلبي .
(٣) سورة ابراهيم الآية ٤٥ .
(٤) سورة الروم الآية ٥٨ .
(٥) سورة العنكبوت الآية ٤٣ .
(٦) سورة البقرة الآية ١٧ .
(٧) سورة النحل الآية ٦٠ .
(٨) سورة الرعد الآية ٣٥ .
(٩) سورة البقرة .
(١٠) سورة الرعد .

لكلام اللغويين . وما قاله من أن المثل والمثل بمعنى ينبغي ان يكون مراده باعتبار الأصل وهو الشبه والا فالمحققون كما قاله ابن العربي على أن المِثل بالكسر عبارة عن شبه المحسوس وبفتحها عبارة عن شبه المعاني المعقولة . فالانسان مخالف للاسد في صورته مشبه له في جراءته وحدته . فيقال للشجاع أسد أي يشبه الأسد في الجراة ولذلك يخالف الغيث في صورته والكريم من الانسان يشابهه في عموم منفعة .

وقالوا : لو كان المثل والمِثل سيان للزم التناقي بين قوله (ليس كمثله شيء) (11) وبين قوله (ولله المثل الأعلى) (12) فان الأولى نافية له والثانية مثبتة له.

وفرق الامام فخر الدين الرازي بينهما بان المِثل هو الذي يكون مساويا للشيء في تمام الماهية والمثل هو الذي يكون مساويا له في بعض الصفات الخارجة عن الماهية وان معنى قوله تعالى (للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الأعلى) (13) ان للكفار الصفة السوء اي ولله الصفة العليا فصفات الله أعلى الصفات ليس كمثله شيء .

وللدكتور محمد عبد الله (14) دراز فهم عميق في قوله تعالى (ليس كمثله شيء) فهو يقرر انه ليس في القرآن كلمة مقحمة او حرف زائد وان الكاف في قوله (ليس كمثله شيء) ليست زائدة للتاكيد كما يقول كثير من المفسرين . فان أكثرهم قد ترادفت كلمتهم على زيادة الكاف بل على وجوب زيادتها في هذه الجملة فرارا من المحال العقلي الذي يفضي اليه بقاؤها على معناها الأصلي من التشبيه اذ رأوا انها حينئذ تكون نافية للتشبيه عن مثل الله فتكون تسليما بثبوت المثل له سبحانه أو على الأقل محتملة لثبوته وانتفائه لان السالبة كما يقول علماء المنطق تصدق بعدم الموضوع (15) أو لان النفي كما يقول علماء النحو قد يوجه الى المقيد وليده جميعا نقول « ليس لفلان ولد يعاونه » اذا لم يكن له ولد قط أو كان له ولد لا يعاونه وتقول « ليس محمد أخا لعلي » اذا كان أخا لغير علي أو لم يكن أخا لأحد .

ولو رجعت الى نفسك قليلا لرأيت هذا الحرف في موقعه محتفظا بقوة دلالته . قائما بقسطه جليل من المعنى المقصود في جملته وانه لو سقط منها من دعامة المعنى أو لتهدم ركن من أركانه ونحن نبين لك هذا من طريقين أحدهما أدق مسلكا من الآخر :

الطريق الأول : وهو أدنى الطريقين الى فهم الجمهور انه لو قيل :

(ليس مثله شيء) لكان ذلك نفيا للمثل المكافيء ، وهو المثل التام المماثلة فحسب اذ أن هذا المعنى هو الذي يتساق اليه الفهم من لفظ المثل عند اطلاقه واذا لدب الى النفس دبيب الوساوس والأوهام أن لعل هناك رتبة لا تضارع رتبة الالوهية ولكنها تليها وان عسى أن تكون هذه المنزلة للملائكة والأنبياء أو للكواكب وقوى الطبيعة فيكون لهم بالاله الحق شبه ما في قدرته أو علمه وشرك ما في خلقه أو أمره .. فكان وضع هذا الحرف في الكلام اقصاء للعالم كله عن المماثلة وعما يشبه المماثلة وما يدنو منها كائنا قيل : ليس هناك شيء يشبه أن يكون مثلا له على الحقيقة وهذا باب من التنبيه بالأدنى على الأعلى على حد قوله تعالى (فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما) (16) نهيا عن ما هو أشد الأذى صريحا وعما فوق اليسير بطريق الأحرى .

الطريق الثاني : وهو أدقهما مسلكا أن المقصود الأولي من هذه الجملة وهو نفي الشبيه وان كان يكفي لأدائه أن يقال « ليس كالله شيء » أو « ليس مثله شيء » لكن هذا القدر ليس هو كل ما ترمي اليه الآية الكريمة بل انها كما تريد أن تعطيك هذا الحكم تريد في الوقت نفسه ان تلفتك الى وجه حجته وطريق برهانه العقلي .

الا ترى انك اذا أردت أن تنفي عن امرء نقيصة في خلقه فقلت « فلان لا يكذب ولا يبخل » أخرجت كلامك

(11) سورة الشورى الآية 11 .
(12) سورة النحل الآية 60 .
(13) سورة النحل الآية 60 .
(14) كتاب النبأ العظيم للمرحوم الدكتور محمد عبد الله دراز ص 146 .
(15) هذا الترديد مبني على اعتبار مفهوم الجملة او منطوقها لعل الاول يقع المثل موضوعا لانها في قوة قولنا « مثله ليس له مثل » وعلى الثاني تبقى في المحمول لانه واقع في خبر ليس .

عنه خرج الدعوى المجردة عن دليلها فاذا زدت فيه كلمة فقلت : « مثل فلان لا يكذب ولا يبخل » لم تكن بذلك مشيرا الى شخص آخر يماثله مبرأ من تلك النقائص ، بل كان هذا عبرة له هو ببرهان كلي ، وهو أن من يكون على مثل صفاته وشيمه الكريمة لا يكون كذلك ، لوجود التنافي بين طبيعة هذه الصفات وبين ذلك النقص الموهوم .

على هذا المنهج البليغ وضعت الآية الكريمة قائلة « مثله تعالى لا يكون له مثل » تعني أن من كانت له تلك الصفات الحسنى وذلك المثل الأعلى لا يمكن أن يكون له شبيه ولا يتسع الوجود لاثنين من جنسه فلا جرم جيء فيها بلفظين كل واحد منهما يؤدي معنى المماثلة ليقوم أحدهما ركنا في الدعوى والآخر دعامة لها وبرهانا فالتشبيه المدلول عليه بالكاف لما تصوب اليه النفي تأدى به أصل التوحيد المطلوب ولفظ المثل المصرح به في مقام لفظ الجلالة أو ضميرة نبه على برهان ذلك .

واعلم ان البرهان الذي ترشد اليه الآية على هذا الوجه برهان طريف في اثبات الصانع لا تعلم أحدا من علماء الكلام حام حوله فكل براهينهم في الوحدانية قائمة على ابطال التعدد بابطال لوازمه وآثاره العملية حسبما أرشد اليه قول الله تعالى : (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) (17) .

اما آية الشورى المذكورة فانها ناظرة الى معنى وراء ذلك يقتضي فرض التعدد من أساسه ، ويقرر استحالته الذاتية في نفسه بقطع النظر عن تلك الآثار ، فكانها بها تقول لنا .

ان حقيقة الاله ليست من تلك الحقائق التي تقبل العدد والاشتراك والتماثل في مفهومها ؛ كلا ، فان الذي يقبل انما هو الكمال الاضافي الناقص . اما الكمال التام المطلق الذي هو قوام معنى الالهية فان حقيقته تأبى على العقل فيها المشابهة والاثنينية ، لأنك مهما حققت معنى الالهية حققت مقدما على كل شيء وانشاء لكل شيء : (فاطر السموات والأرض) وحققت سلطانا على كل وعلوا فوق كل شيء : (له مقاليد السموات والأرض) فلو ذهبت تفترض اثنين يشتركان في هذه الصفات لتناقضت اذ تجعل كل واحد منهما سابقا مسبوقا ومنشئا منشأ ومستعليا مستعلى عليه، أولاحلت الكمال المطلق الى كمال مقيد فيهما ، اذ تجعل كل واحد منهما بالاضافة الى صاحبه ليس سابقا ولا مستعليا ، فانى يكون كل منهما الها وللاله المثل الأعلى .

أرأيت كم أمدنا من هذه الكاف وجوها من المعاني كلها شاف كاف فاحفظ هذا المثال وتعرف به دقة الميزان الذي وضع عليه النظم الحكيم حرفا حرفا .

وقد أورد ابن ناقيا البغدادي من علماء القرن الخامس الهجري التصنيف في تشبيهات القرآن في كتابه « الجمان في تشبيهات القرآن » (18) .

ومنهجه أنه يذكر الآية التي فيها التشبيه ويفسرها ثم يأتي باشعار ورد فيها هذا التشبيه أو يفسر الفاظ الآية التي ورد فيها التشبيه بشر فيه معنى التشبيه .

انه يورد روائع الشعر العربي الجاهلي والاسلامي في دراسة أدبية مبينا كيف ان القرآن الكريم نزل على مقتضى كلام العرب ولغتها وضرب بيانها التي منها التشبيه والاستعارة . ومع ذلك فقد أعجزهم كافة وهم أرباب الفصاحة وأمراء البلاغة ويوضح مدى تأثر العرب بالقرآن ومحاولة اسعادتهم من بلاغته وأسلوبه وأخلاقه ويتحقق بالعرض التعاون بين كلام الخالق وكلام المخلوق واليك الأمثلة :

١ ـ قوله عز وجل : (وعندهم قاصرات الطرف عين كأنهن بيض مكنون) (19) .

وصف نساء أهل الجنة بانهن قاصرات الطرف مع حسن العيون لا من شين يمنعهن من طموح البصر ، وانما ذلك للعفة والخفر .

ثم شبههن بالبيض المكنون تأكيدا للصفة بالتشبيه

(16) سورة الاسراء 23 .
(17) سورة الانبياء الآية 22 .
(18) كتاب الجمان في تشبيهات القرآن لابي القاسم عبد الله بن محمد بن الحسن بن ناقيا البغدادي طبع وزارة اوقاف الكويت تحقيق عدنان زرزور ومحمد رضوان الداية .
(19) سورة الصافات الآيتان 48-49 انظر كتاب الجمان ص 242

فاخبر بذلك أنهن في ستروكن عن الشرح وجعل وصف التبيض دالا على هذه الحال من وصفهن .

وهذا الكلام غاية في مناسبة الوصف ومطابقه وبلاغة معنى التشبيه وموافقته . وجاء في التفسير أنه تعالى وصفهن بقصور الطرف على أزواجهن وشبههن بالبيض لحسنه وصفائه ورونقه ، وقد تناقل الشعراء هذا التشبيه فقال العبادي :

كدمى العاج في المحاريب أو كالـ
ـبيض في الروض زهوه مستنير

وقد استحسن هذا البيت جماعة من أصحاب المعاني وذكروا فيه أنه شبه الوان الثياب التي عليهن بالوان نور الرياض ، وزهوه : حمرته وصفرته وجعل التبيض في الروض ليكون أحسن له وكذلك قالت الأوسية :

﴿ احسن الأشياء القصور البيض في الحدائق الخضر ﴾ .

الا انه لم يوصف البيض في هذا الباب بأحسن ولا أجمع لمعاني الوصف مما نطق به التنزيل فان لفظ « مكنون » متضمنة معنى السلامة والخلوص من جميع العوارض التي تنتقص رونقه وتشين بياضه وتكسف بهاء مع ما قدمنا فيه من القول الأول في تاويل الآية .

وهذه الجملة زيادة على ما ذكره الشاعر لأن نساء الجنة يستغنين عن الوصف الذي أشار بالتشبيه اليه اذ كانت « الجنة » أنور من « الروض » حسنا وابهى منظرا .

وعلى اكثار الشعراء من تشبيه النساء بالبيض ووصفه بما يدل على حال المشبه به . فما أتوا ببلاغة القرآن ولا قدروا على نقل لفظ من هذا المكان ، وقد أطالوا واوردوا وأصدروا قال عبد بني الحسحاس (٢٠) :

فما بيضة بات الظليم (٢١) يحلها
ويرفع عنها جؤجؤ متجافيا
ويجعلها بين الجناح ورفله
ويفرشها وحفا (٢٢) من الزف وافيا
ويرفع عنها وهي بيضاء طفلة
وقد صادفت قرنا من الشمس ضاحيا
باحسن منها يوم قالت ارائح
مع الركب أم ثاو ولدنا لياليا

(٢٠) هو صخر وكان معنى الاصل وشاعرا مخضرما قبل وفد عثمان رضي الله عنه وابيات من قصيدته الباقية :

فصيرة وفع ان تهجرت فساديا
كمعنى النبيه والاسلام للمرء ناهيا

(٢١) الظليم : الذكر من النعام ، والجؤجؤ : الصدر .

(٢٢) الوفد : الكثير الاسود ، والزف : صغار الريش .

« من دعاء عمر »

من دعاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

اللهم اني كثير الغفلة والنسيان فالهمني ذكرك على كل حال . وذكر الموت في كل حين ، اللهم اني ضعيف عن العمل بطاعتك فارزقني النشاط فيها والقدرة عليها .